خطبة الأسبوع

عاقبة الظالمين

(نسخة للطباعة)

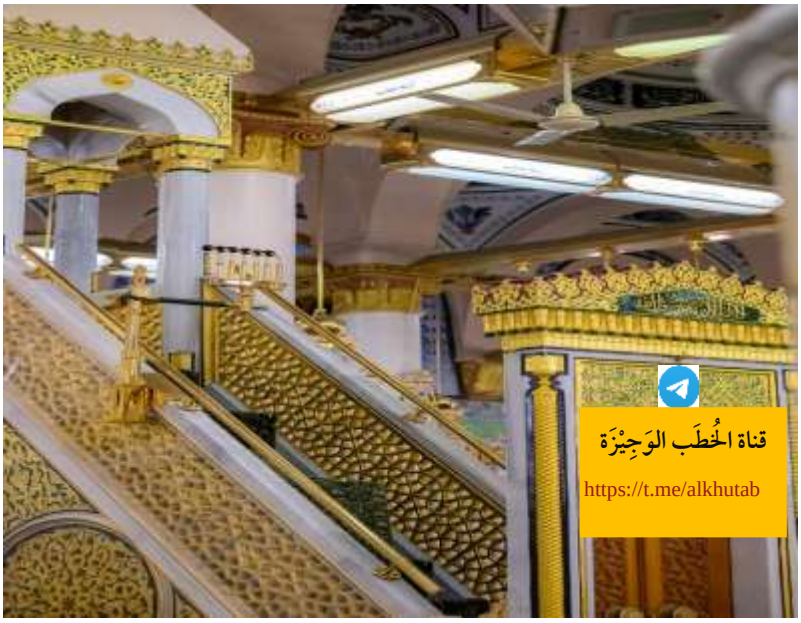

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بعد: فَأُوْصِيْكُم ونَفْسِي بتقوى الله، فإنَّ ما تُوعَدُونَ لآت، وتزوَّدوا بالتقوى قبلَ الفَوَات، وبادِرُوا بالصالحات، قبلَ أنْ يَفْجَأَكُم هادِمُ اللذَّات؛ ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾.

عباد الله: إنهُ أَصْلُ الشرور، وقَاصِمُ الظُّهُور، إنه **الظُّلم**! قال تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾.

والظُّلْمُ ظُلُمات[1]: فهو سَبَبٌ للعقوبات، ودمارٌ للأفرادِ والجماعات؛ وقَدْ حَذَّرَ منه ربُّ الأرضِ والسماواتِ؛ فقال ﷻ -في الحديث القُدسي-: (**يا عبادِي؛ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا**)[2].

وأَعْظَمُ الظُّلمِ ضررًا، وأَشَدُّه خطرًا: هو **الشِّركُ بالله**؛ فإنَّ المُشْرِكَ قد جَعَلَ المخلوقَ في منزلةِ الخالق، وصَرَفَ العبادةَ لغيرِ مُسْتَحِقِّهَا! ولَـمَّا نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾؛ شَقَّ ذَلِكَ على الصحابةِ فقالوا: (**يا رَسُولَ الله، أَيُّنَا لَا**

---

[1] قال ﷺ: (**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**). رواه البخاري (2315)، ومسلم (2579).

[2] رواه مسلم (2577).

يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟)، فقال ﷺ: (لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ -وهُوَ يَعِظُهُ-: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)[3].

ومِنْ أنواعِ الظُّلْمِ: ظُلْمُ الإنسانِ لِنَفْسِه بـ(الذنوبِ والمعاصي)؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾. يقول القرطبي: (والمعنى: قد أفلحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ، وقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها بِالمَعْصِيَةِ)[4].

ويَشْتَدُّ ظُلْمُ النفسِ بالمعصية، لا سيما في الزمانِ الفاضلِ أو المكان الفاضل.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

قال ابنُ عَطِيَّة: (أي لا تَظْلِمُوا أنفسكُم بالمعاصي في الزمنِ كُلِّه، ونَهَى اللهُ عن الظُّلْمِ في الأشهرِ الحُرُم؛ تشريفًا لها بالتخصيصِ، وإنْ كانَ مَنْهِيًّا عنه في كُلِّ الزمن)[5].

ومِنْ أَخْطَرِ أنواعِ الظُّلْمِ، وأَشَدِّهِ حُرْمَةً: **ظُلْمُ العباد**، ولهذا خَطَبَ النبيُّ ﷺ يومَ الحجِّ الأكبرِ قائلًا: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ: كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)[6]. قال ابنُ القَيِّم: (**الظُّلْمُ عندَ اللهِ ﷻ -يومَ القيامةِ- لَهُ دواوين ثلاثة:**

---

[3] رواه البخاري (3246)، ومسلم (124).

[4] تفسير القرطبي (20/ 77). بتصرف

[5] المحرر الوجيز (3/ 31).

[6] رواه البخاري (67)، ومسلم (1679).

1 – ديوانٌ لا يغفرُ اللهُ منهُ شيئًا: وهو الشِّرْكُ باللهِ، فـ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشرَكَ بِهِ﴾.

2 –وديوانٌ لا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شيئًا: وهو ظُلْمُ العبادِ بعضِهم بعضًا، فإنَّ اللهَ يستوفيه كلّه.

3 –وديوانٌ لا يَعْبَأُ اللهُ به: وهو ظُلْمُ العبدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وبينَ ربِّه ﷻ؛ وهذا الديوانُ أخفُّ الدواوين، وأسرَعُهَا محوًا؛ فإنه يُمْحَي بالتوبةِ والاستغفار، والحسناتِ الماحية، والمصائبِ المُكَفِّرَة؛ بخلافِ ديوان الشرك: فإنه لا يُمْحَى إلا بالتوحيد، وأما ديوان المظالم: فلا يُمْحَى إلا بالخروجِ منها إلى أربابها، واستحلالِهم منها)[7].

ومِنْ آثارِ الظلمِ الخطيرة، وعواقبِه الوخيمة: أنه سَبَبٌ لهلاكِ الأمم، وزوالِ الدُّوَل! قال بعضُ الحُكماءِ: (المُلْكُ يَبْقَى على الكُفْرِ، ولا يَبْقَى على الظُّلْمِ).

ويقول شيخُ الإسلام: (إنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّولةَ العَادِلَةَ وإنْ كَانَتْ كَافِرَةً؛ ولا يُقِيمُ الدولةَ الظَّالِمَةَ وإنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً؛ ويُقَالُ: إنَّ الدنيَا تَدُومُ معَ العدلِ والكُفْرِ، ولا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ)[8].

والخوفُ من الرَّحْمَنِ: يَعصِمُ الإنسانَ، مِنَ الظلمِ والعدوان؛ قال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ:

(إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ على الناسِ على ظُلْمِهِمْ؛ فاذْكُرْ قُدْرَةَ اللهِ عليك!)[9].

---

[7] الوابل الصيب (19). بتصرف

[8] مجموع الفتاوى (28/ 146). بتصرف

[9] شعب الإيمان، البيهقي (7038).

والظُّلْمُ عقوبَتُه مُعَجَّلة، وخسارةُ صَاحِبِه مُؤَكَّدَة! قال ﷺ: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ: مِنَ البَغْيِ، وقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)[10].

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا * فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ * يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنِمِ

ويُسلِّطُ اللهُ على الظالمِ: ظالمًا أقوى منه! كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. قال ابنُ كثير: (أي نُسَلِّطُ بعضَهم على بعضٍ، ونَنْتَقِمُ من بعضِهم ببعضٍ؛ جزاءً على ظُلْمِهِم وبَغيِهِم)[11].

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا * وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

وأيامُ الظَّالِمِ محدودةٌ، ونهايتُه محسُومة! قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾؛ يقول ﷺ: (إِنَّ اللهَ ﷻ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ!)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[12].

---

[10] رواه الترمذي وصححه (2511).

[11] تفسير ابن كثير (3/ 304-305). باختصار

[12] رواه البخاري (4686)، ومسلم (2583).

وظُلْمُ العباد: يَنْسِفُ جبالَ الحسناتِ نَسْفًا! قال ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قالوا: (الْمُفْلِسُ فِينَا: مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ ولا مَتَاعَ)، فقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي: يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ؛ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مالَ هذَا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ!)[13].

ومِنْ أنواعِ ظُلمِ العباد: تفريطُ الموظَّفِ في أداءِ عَمَلِه، أو استغلالِه لمنصبِه، أو تعطيلِه لمصالحِ الناس؛ قال ﷺ: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِم فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ)[14].

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

.

---

[13] رواه مسلم (2581).

[14] رواه مسلم (1828).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة

الْحَمْدُ لله على إِحْسَانِه، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِه، وأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه، وآلِهِ وَأَصْحَابِه وأَتْبَاعِه.

عباد الله: يَجِبُ رَدُّ الحقوقِ إلى أصحابِها، والتخلُّص مِنْ أحمالِها وأثقالِها؛ فإنَّ حقوقَ العبادِ مبنيَّةٌ على المُشاحَّة لا على المُسامَحة، ولا تَسْقُطُ بالتقادم؛ فويلٌ للظالمِ مِنْ يومِ المظالم! قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

فَبَادِرُوا إلى التحلُّلِ مِنْ كُلِّ مَنْ ظَلَمْتُمُوه في هذه الدنيا، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾. قال ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ -مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ- فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليومَ، قَبْلَ أَنْ لا يكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إِنْ كانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ: أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ: أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْه)[15].

وقال ﷺ: (رَحِمَ اللهُ، عَبْدًا كَانَتْ لأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ؛ فَجَاءَهُ فَاسْتَحَلَّهُ)[16].

---

[15] رواه البخاري (2449).

[16] رواه الترمذي (2419). وقال: (هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ).

إلى ديَّانِ يومِ الدِّينِ نَمْضِي *** وعندَ اللهِ تجتَمِعُ الخُصُومُ

****

* هذا وصَلُّوا وسَلِّموا على الرحمةِ المُهدَاة، والنعمةِ المُسداة: نبيِّكُم محمدٍ رسولِ الله؛ فقد أَمَرَكُمُ بذلك ربُّكُم في مُحكَمِ تنزيلِه، فقال -وهو الصادقُ في قِيْله-: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

* اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم، وزِدْ وبارِكْ على نبيِّكَ محمدٍ ﷺ، اللَّهُمَّ احْشُرْنا في زُمْرَتِه، وأَدْخِلْنَا في شفاعتِه، وأَحْيِنَا على سُنَّتِه، وتوفَّنَا على مِلَّتِه، وأَوْرِثْنَا عِلْمَه، وأَوْرِدْنَا حوضَه، وأَسْقِنَا بكأسِه شَرْبَةً لا نظمأُ بعدَها أبدًا، وارْزُقْنَا مُرافَقَتَهُ في الفردوسِ الأعلى.

* اللَّهُمَّ ارضَ عَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين: أَبِي بَكرٍ، وعُمَرَ، وعُثمانَ، وعَلِيّ؛ وعن الصحابةِ والتابعِين، ومَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ إلى يومِ الدِّين.

* اللَّهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا إلى النارِ مصيرَنا.

* اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واخْتِمْ بالصالحاتِ أَعْمَالَنَا.

* اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسلامَ والمُسلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّركَ والمُشرِكِين، اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهمُومِينَ، ونَفِّسْ كَرْبَ المَكرُوبِين، واقْضِ الدَّينَ عَنِ المَدِينِين، واشْفِ مَرضَى المسلمين.

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا في أوطَانِنَا، وأصْلِحْ أئِمَّتَنَا وولَاةَ أُمُورِنَا، ووَفِّقْ (وَلِيَّ أَمرِنَا ووَلِيَّ عَهْدِهِ) لِمَا تُحِبُّ وتَرضَى، وخُذْ بِنَاصِيَتِهِما لِلبِرِّ والتَّقوَى.

* **اللَّهُمَّ** أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ الغَنِيُّ ونَحْنُ الفُقَراء؛ **أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ**، ولا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِيْنَ.

* **اللَّهُمَّ** إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا؛ فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا.

* **اللَّهُمَّ** أَغِثْنَا غَيْثًا مُغِيْثًا، هَنِيْئًا مَرِيْئًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَار، عَاجِلًا غيرَ آجِل.

* **عِبَادَ اللهِ:** ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

* **فَاذْكُرُوا اللهَ** يَذْكُرْكُم، واشكُرُوهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُم ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

.....

قناة الخُطَب الوَجِيْزَة
https://t.me/alkhutab